امين شميل

بقلم حضرة الحائي الفاضل ابرهيم افندي حمال

هو ابن المرحوم ابرهيم شميل من محدث كريم ولد في كفرشيما من اعمال جبل لبنان في ٢٤ فبراير سنة ١٨٢٨ ودخل في السنة الحادية عشرة من عمره مدرسة المرسلين الاميركانيين في بيروت فتلقى فيها بعض مبادىء النحو والحساب واللغة الانكليزية وخرج منها بسبب حادثة الجبل الاولى ثم تتبع درس اللغة العربية والفقه على اساتذة افاضل اذكر منهم السيد محيي الدين افندي اليافي

وما بلغ الحادية والعشرين حتى كان رجلاً يشار اليه بالبنان في المعارف وفصل المشاكل ودليل ذلك انهُ وقع خلاف شديد سنة ١٨٤٩ بين البطريرك مكسيموس مظلوم الشهير بطريرك طائفة الروم الكاثوليك والمطران اغابيوس رياشي مطران بيروت ورفع الفصل في ذلك الخلاف الى الكرسي الرسولي في رومة فاختار المطران رجل الترجمة وكيلاً لهُ وبعث بهِ الى رومة فوصلها عند دخول العساكر الفرنسوية اليها واقام هناك نحو سنتين ونصف مدافعاً عن حقوق موكلهِ حتى احتدم النزاع بين البطريرك والمطران واحيل الفصل فيهِ الى مقام الصدارة العظمى بالاستانة العليَّة فتوجه اليها صاحب الترجمة وكيلاً عن المطران فوصلها في اواسط يناير سنة ١٨٥٢ وتوجه توًّا الى منزل الصدر الاعظم فعرض عليهِ حقيقة الواقع وطلب منهُ تأليف لجنة من اساقفة الطوائف الكاثوليكيَّة من رعايا الدولة العليَّة في بيروت للحكم في ذلك النزاع فاجابهُ الى طلبهِ واصدر امرهُ الى والي بيروت بذلك فانتخب الوالي مطران الطائفة المارونيَّة ومطران الارمن الكاثوليك ومطران السريان الكاثوليك للفصل في تلك الدعوى الخطيرة فنظروا فيها وحكموا للمطران اغابيوس موكل المترجم بهِ فعاد الى بيروت ظافرًا مسرورًا

وفي يوليو سنة ١٨٥٤ قصد انكلترا وهناك تعرف باحد التجار المشهورين وهو السيد عبد الله ادلبي تنصل الدولة العثمانيَّة في مانشستر فاتخذهُ هذا مديرًا لاشغالهِ التجارية ثم ارسلهُ سنة ١٨٥٦ الى بيروت بمهمة تجارية فانجزها على احسن حال وعاد الى منشستر واستأذن من السيد عبد الله ادلبي بفتح محل تجاري على حسابهِ الخاص في مدينة ليفربول فاذن لهُ بذلك وشرع من ثم يشتغل بالتجارة

وفي سنة ١٨٦٢ ترك اخاهُ بشاره سيف ليفربول يدير حركة محله وجاء سوريا ثم الاسكندرية وفتح فيها محلاً تجاريًّا مكث فيهِ نحو عشرة اشهر واقترن بالسيدة فرجيني جفروى

كريمة المسيو شارل جفروى الفرنسوي ثم دخل خاله ملحماً في المحل التجاري واطلق عليه اسم محل شميل الخزن وشركاه

وسنة ١٨٦٣ عاد الى ليفربول واتسع نطاق تجارته فيها اتساعاً عظيماً حتى كان يستأجر وابورات خاصة لحمل بضائعه من سوريا ومصر الى انكلترا ومن انكلترا إلى هذين القطرين

وفي تلك الاثناء ارتفعت اسعار الاقطان وكان بعض عملائه في الاسكندرية يبيع ثلاثين الف قنطار على التسليم باسعار تعدل الليرة فيها ٢٥ بنساً ثم ارتفعت الاسعار الى ٣٠ بنساً وقصّر تجار الاسكندرية في تسديد ما عليهم فخسر بسبب ذلك ثمانين الف جنيه

وسنة ١٨٨٥ جاء القاهرة فاصدر جريدة الحقوق واشتغل بفن المحاماة فكان في صناعته موضوع اعتبار رجال القضاء خصوصاً والناس عموماً لما كان مشهوراً به من الصدق والاجتهاد ولين العريكة وسلامة الطوية

على ان المصيبة التي اصابته بفقد ولديه سنة ١٨٨٦ وعمر احدهما ٢١ سنة وعمر الآخر ١٧ سنة اسست في قلبه الاحزان المستمرة ثم جاءت وفاة ابنته سنة ١٨٨٦ ثالثة الاثافي فقوضت بنيته القوية حتى انهكت قواه واتاه القدر المحتوم صباح ٦ دسمبر سنة ١٨٩٧ وله من العمر تسع وستون سنة وتسعة اشهر

(مقامه في العلم والادب)

لصاحب الترجمة في العلوم المتنوعة تآليف اذكر منها ما يحضرني الآن

(١) الوافي هو تاريخ مشهور للسنة الشرقية في كتابين ينقسمان الى ستة اجزاء كبار طبع جزءان منها والاربعة الاخيرة مبيّضة ومعدّة للطبع

(٢) مقدمات تاريخية عملية كانت تنشر تباعاً في جريدة الحقوق وهي في علوم مختلفة

(٣) بستان التزهات في فن المخلوقات . وهو يشتمل على ثلاثة اقسام

(الاول) جامع الانوار في فن الاسفار . وفيه جزءان الاول في الرحلة والثاني في تاريخ العرب

(الثاني) الدرة المكنونة في علم هيئة الكون وخمسة اقسام الملكونة وفيه كلام وافر عن اديان العالم المختلفة

(الثالث) نكهة الفضاء في الميتولوجيا وهو كتاب جليل نادر المثال (لم يطبع)

(٤) سهام المنايا وهي رسالة رد فيها على بعض المعترضين على الوافي حذا فيها حذو ابن زيدون في رسالته المشهورة

(٥) المبتكر. وهو كتاب مبتكر في بابه يشتمل على خمس مقامات تدعى مقامات الاوهام في الآمال والاحكام وخمس وعشرين قصيدة مؤلفة من الف وستة وخمسين بيتاً في شرح درجات حياة الانسان السبع من حين تصوره في الرحم الى موته وتواريه في التراب (طبع مرتين)

(٦) الزقاف الشامي . وهي رواية تشخيصية رمزية تمثل حالة الدول في ابان حرب الروس سنة ١٨٧٧ (لم تطبع)

(٧) مقالات ورسائل سياسية عديدة منشورة في جرائد متعددة

(٨) مشروع البنك الوطني. وهو رسالة عرض فيها على الحكومة المصرية انشاء بنك وطني اهلي يشتمل على تفاصيل وافية في بابها (مطبوع) وله رسائل ومقالات اقتصادية متعددة

(٩) نظام الحكومة الانكليزية (طبع مرتين)

(١٠) الدرة الجلية في المباحث القضائية (مطبوع)

(١١) الخرق . ولا نريد القراء بها تعريفاً انشئت في اوائل سنة ١٨٨٦

وكان من الشعراء المعدودين وله من القصائد الرنانة ما يجمع ديواناً كبيراً واجل قصائده واشهرها حكمية فلسفية منها في المبتكر الدهرية الكبرى في مطامع الانسان وتيهه وغايته والدهرية الصغرى في صروف الدهر وتقلباته والميزان او لامية الهدى فيما يجب الافتخار به من حماسيات الكمال وهي التي مطلعها

ما الفخر بالمال ان الفخر بالرجل مال جمعنا مفنٍ والفخر لم يزلِ

والبرهان في وجود الله والنفس الناطقة

وله في المدائح والتهانئ قصائد شائقة اكثرها في المرحوم توفيق باشا الخديوي السابق ودولة الوزير رياض باشا وبعضها في عهد الخديوي الحالي

وله في الرثاء قصيدته المشهورة أثر بعد عين التي رثى بها المرحوم أخاه ملحم شميل ومطلعها

شقي الجيوب بنات الحي وابكينا حوامراً فلقد هانت نواصينا

وهي آية في البلاغة والتأثير

وله في رثاء ولديه ارثروفريدريك كلام يذيب الجلمود ومن رثائهما قوله

فنحن صرعى بخطب لا دواء لهُ غير المنية ان حانت على عجلِ
هناك نجمع ان صحت امانينا او نستحيل وجوداً غير منفصل

ولا يسع المقام ان اذكر شيئاً آخر من مختارات اشعاره وكلها درر وغرر وموعدي بها الديوان

الذي سأجمعهُ ونشرهُ لهُ ان شاء الله على اني اذكر هنا بعض ابيات قالها مادحًا بها وفي ما نزل بهِ من مصائب الدهر . وهي قولهُ

اغرتني الدنيا ومذ عاهدتها ... اخذت عليَّ من المصائب تمطرُ
مطرًا اكاد اظنهُ في دهشتي ... طوفان نوح بن وربك اغزر
جبت البلاد بهمة لا تثنني ... عزمًا وقلب لا يهاب ويحذر
وطرقت ابواب المعالي اولاً ... وبلغت قدرًا لم اكن استقدر
لي همة سبقت السعد بحر انها ... تجري لهُ في كل نحس انجر
فصرفت احلام الحياة ولم اذر ... جهدًا واني الآن ما قد تبصر

(صفاتهُ الشخصية واخلاقهُ)

كان ربع القامة ضخم العضل ابيض اللون اصلع الجبهة حليق الذقن مهيب المنظر وكان مقدامًا على الاعمال جلودًا على التعب صبورًا على المصائب كثير العناية في اشغالهِ شديد المحبة لبنيهِ وافراد عائلتهِ لين العريكة كريم النفس بادي الرؤوة حاد الطبع في اواخر عمرهِ سريع الرضا قوي الذاكرة شديد الذكاء عزيز النفس صادقًا حر الضمير واللسان وبالجملة فقد كان مثال الرجولية. اجزل الله ثوابهُ واطال بقاء انجالهِ الكرام تعزية لوالدتهم الحزينة وخير خلف لخير سلف

وقد رثاهُ اخوهُ الدكتور شبلي ببرقاة نذكر منها الابيات الآتية

ذعر الناس انهم ماتونا ... جهل الناس انهم ذاهلونا
ان موتًا ليفضلن حياة ... كل يوم نذوق فيها المنونا
خلق المرء للشقا ليس يلقى ... في سوى الموت راحة وسكونا
حيرة المرء في الوجود حياة ... كل يوم تريك منها شؤونا
«منة لو منت بتسيير المنايا» ... وبتسيير الدموع منا عيونا
«خاضت الناس في الظنون ولكن» ... ما درى الناس سرها المكنونا
قال قوم اعيانا باتيات ... قال قوم بل انتا فانونا
ان اركانا تدوم وتبقى ... تلك اعيانا تعوش سنينا
ان آثارنا لأثبت منا ... تلك آثارنا تدوم قرونا
قسم الناس بين خلق يجازى ... ثم قوم يعد ذاك مجونا
بين خلق نعد ذا السعد فيهِ ... ونعد المأثوم والمسكينا

هل دريتم بما جنيتم فظلم موت انتم وانتم الظالمونا

ومنها قولهُ

لم يمت عائش بآثار فضل هل يموت الجدّ كالخاملينا
هل امات الزمان سقراط قبلاً هل امات الزمان افلاطونا
انت حيّ آثارك الغرّ تبقى ابد الدهر ترشد العالمينا

فكتوريا

ملكة الانكليز وامبراطورة الهند

حياتها السياسية (تابع ما قبلهُ)

وصلنا في الكلام على تاريخ الملكة فكتوريا الى حياتها السياسيَّة وقلنا في الجزء الاخير من المجلد السابق ان تاريخها السياسي هو تاريخ وزرائها الذين ولّتهم الاحكام من حين تربعت في سرير الملك الى الآن . وذكرنا سيرة لورد ملبرن والسر روبرت بيل واللورد جون رسل ولورد بامرستون . وها نحن ذاكرون سيرة باقي الوزراء

لورد ابردين

ولد سنة ١٧٧٤ ودرس في مدرسة كمبردج الجامعة شأن غيرهِ من اولاد الاشراف في بلاد الانكليز فانهم يدرسون في اكبر المدارس ويأخذون العلم عن اكبر العلماء وقد يشاركون فيهِ حتى يبلغوا منزلة رفيعة منهُ فان لورد ابردين هذا نال رتبة معلم في الفنون في العشرين من عمرهِ وهي لا تعطى الاَّ لمن قرن العلم بالعمل . ثم دخل مجلس الاشراف وجلس مع حزب المحافظين ثم جعل سفيرًا في بلاد النمسا سنة ١٨١٣ فاتمَّ عقد المحالفة بين انكلترا والنمسا وانتظم في وزارة دوق ولنتون وزيرًا للخارجية وفي وزارة السر روبرت بيل واستعفى معهُ سنة ١٨٤٦ .